فاتحة محررى السلسلة الإنجليزية

عندما تبين لنا أن باولو فريرى بصدد إعداد كتاب لسلسلتنا ، اعتبرنا أن فى ذلك تشريفاً لنا ، وغمرتنا الفرحة بأن علينا فى النهاية أن نحرر فاتحة صغيرة لهذا العمل . لقد مضى على ذلك الوعد أربع سنوات ، فماذا يمكن أن نسطره هنا ؟ هل نكتب عن ذلك الرجل الذى لم يقتصر تأثيره على وظائفنا وعلى صداقاتنا وعلى محبينا ؟ ثم ماذا نكتب عن رجل ظننا أنه سيبقى معنا دائماً بجسده ملء السمع والبصر ، ونجده لا يبقى معنا الآن إلا بروحه ، وفى نصه ومع تعاليمه ؟ وهل يمكننا أن ننصفه فى هذه الفاتحة ؟ وعم يريدنا باولو أن نتحدث ؟

هى أسئلة يصعب الإجابة عنها ، وتبقى الأيام وحدها هى التى ستتولى الإجابة ، مع أننا نعلم أنه كانت لديه لحظات فكهة طريفة ، وأخرى حادة مثيرة عن العالم منذ أن فارقنا فى ٢ مايو ١٩٩٧ . ومن السهل أن نتصور ضحكته على ما جرت به الأيام من اصطناع لكنيته ولاسمه . ولعله من السهل كذلك أن نقهقه حول شأن أولئك التجار الأكاديميين ، الذين يتجولون لبيع " طريقة " فريرى بكل بساطة . لكن من العسير أحياناً أن نأخذ بمقولات أولئك الذين يستشهدون باسمه ، ساعين إلى اكتساب الرصيد الذى يتجسد فى الاستناد إليه . وطبيعى نظراً لأسلوبه الرائق فهو لن يبغض هؤلاء ، وإنما سوف يضحك منهم ، ويدعو لهم بأطيب التمنيات . لقد صرفه انشغاله بأعمال هامة عن إدانة مثل هذه الأمور المتهافتة ، ولقد وضعت (شيرلى إحدى أعضاء هيئة التحرير) لوحة فى مكتبها ، عليها مقولة لباولو نقلها عنه دونالدو ماسيدو - " كن غير عابئ بأعدائك " . وقد وجدت شيرلى تلك المقولة عسيرة الهضم عليها ، لأنها ما

تزال متأثرة بتعاليم العهد القديم فى قصاص العين بالعين ، وربما كان هذا مما دعاها إلى الحرص على الاحتفاظ بمقولة فريرى على جدار مكتبها . بيد أنه من الطبيعى أن من يعتنقون المسيحية وقيمها العائلية لن يجدوا مشكلة فى تجاهل من يسيئون إليهم ، حين يقابلوهم بابتسامة تحمل مقولة أن الرب يبارك أولئك الذين يستطيعون أن يديروا لهم خدهم الآخر .

لقد نشأ باولو منذ مطلع حياته الباكر على أنه من الأفضل أن يقضى الإنسان وقته فى التدريس وفى ترقية هذا العالم، حيث إن الشكوى لن تخدم هذا الهدف . لقد كان حقًّا قوة دافعة ، (ولنتذكر فى نهاية المطاف أنه أودع السجن وأعقبه ترحيله من البرازيل) . ومع ذلك فقد كان يشعر فى صلابة بأن العمل الصحيح إنما يمكن إنجازه فقط فى سياق خبراته المعاشة مع طلابه ، مقرونة بقسط وافر من الحب الراديكالى .

والواقع أن مفتاح الفهم لعبقرية باولو يتمثل فى هذا التقاطع بين هذه الخبرات المعاشة والحب الراديكالى . إن ما أمكن لباولو أن يحدثه فى ذلك التقاطع يقدم لنا نموذجاً لا تقتصر هدايته على تربيتنا ، وإنما فى مسيرة حياتنا كذلك .

ليس فى مقدور أحد أن يحصر فريرى ، فى سياق ما يعرف بالتربية الرعائية ، فهى فى نظره لن تكون أبداً كافية . لقد دعا فريرى إلى الالتزام والمشاركة السياسية والعمل. والتدريس أولاً وأخيراً فى اقتناعه نشاط سياسى مفعم بالحب والبصيرة ، وأن أشرطة مشتراة سبق إعدادها أو ورش عمل محددة لن تستطيع على الفور أن تكسب المعلمين القدرة على التدريس بصورة راديكالية . وعلى المرء أن يلتحق بمدرسة فريرى من خلال دراسة جادة وعميقة والتزام بقضايا العدل الاجتماعى . ومع تذكر الروح التى يشيعها فريرى بيننا ، علينا أن نتذكر دائماً أن الرعاية ليست فعلاً ، إذ إن الأطفال لا يتعلمون وتنمو مقدراتهم بالرعاية وحدها ، إنما يتعلم الأطفال بفضل مدرسين أكفاء لا يتخلون عن مسئولياتهم فى التدريس ، وتزويد طلابهم بالقائمة المطلوبة من أعمالهم ، وتصحيحها حين يقتضى الأمر . هذا هو التدريس الديمقراطى كما أكده فريرى بصورة

حاسمة . حقًّا إن هذا هو نوع التدريس الذى يمكن الطلاب من تنمية القدرة الذاتيـــة والثقة بالنفس ، كما يحررهم من حالة القهر التى يتعرضون لها .

ونحن إذ نكتب هذه الفقرات القصيرة التى تنبع من أعماقنا إنما نذكره بكل عاطفة جياشة ، وبأننا نقدره كما نفتقده . ونحن على يقين من أنه سوف يبقى معنـــا بقـــاءً متصلاً . ونغتنم هذه المناسبة لكى نبعث إلى زوجته المحبوبة (نيتـــا) بـــأعمق الحـــب والمساندة فى أعمالها ، ونحن نشق طريقنا فى الألفية القادمة.

شيرلى ر. ستاينبرج

جو كنشولوى

بيتر كللارن